

الكتابات المشعة على المنتجات المعدنية المملوكيّة

هبة سعد

يتميز الفن الإسلامي عن غيره من الفنون باستخدام الخط كعنصر زخرفي. وتتميز المعادن بصفة خاصة عن غيرها من المنتجات باستخدام الكتابات كعنصر أساسي في زخارفها. ومن الكتابات اللافتة للنظر ما عرف بالكتابات المشعة، والتي ظهرت بصفة خاصة على المنتجات المعدنية. يتميز هذا النوع من الكتابات الزخرفية بانتظام الكتابات داخل شكل دائري، وتمتد هامات الحروف باستطالة واضحة تجاه المركز؛ فتبعدوا بشكل الشمس المشعة.

لذا يهدف البحث إلى دراسة هذا النوع من الكتابات الزخرفية للتعرف على نوع الخط المستخدم، ومحفوظ النصوص، ونوع الزخارف التي تحيط مركز الدائرة، ونوع الزخارف التي تحيط بالكتابات، بالإضافة إلى الوقوف على الفترة الزمنية التي شاع فيها استخدام هذا النوع من الكتابات على المعادن. وقد اعتمد البحث على دراسة مجموعة من القطع المعدنية ذات الزخارف المشعة (26 قطعة)؛ حيث تم قراءة نصوصها، وتحليل محتواها، وتفریغ زخارف بعضها، والمقارنة بينها.

وقد اتضح من الدراسة أن الكتابات المشعة ظهرت على المنتجات المعدنية المملوكيّة، وتحديداً بداية من عصر الناصر محمد بن قلاوون. وقد شاع استخدامها بشكل واضح في عصر الناصر محمد وخلفائه، ثم تضاءل وجودها، إلا أنها لم تختف، بل ظلت قيداً لاستخدام حتى نهاية العصر المملوكي الجركسي.

وقد كان خط النسخ وخط الثالث هما الأكثر استخداماً في هذا النوع من الكتابات، في حين لم يستخدم الخط الكوفي إلا في مثال واحد. وقد حرص الفنان على التأكيد على امتداد هامات الحروف؛ بحيث تشغّل حوالي ثلثي الدائرة، في حين بقية الحروف تزدحم في ثلثها السفلي. وقد اتضح من الدراسة أيضاً أن الكتابات المشعة ظهرت في خمس صور أو طرز تختلف باختلاف مركز الدائرة. كما اتضح من تحليل النصوص أن القطع المملوكة للسلطانين كانت نصوصها دعائية، ويليها عدد من ألقاب السلطان، وقد يرد اسمه في النص. أما القطع المملوكة لأمراء أو شخصيات كبرى فقد يسجل عليها أيضاً نص لتعظيم السلطان أو عبارة دعائية للأمير تضم بعض ألقابه، وعادة ما يخلو النص من اسم صاحب القطعة.

وأوضح من الدراسة أيضًا أن الكتابات المشعة صاحبها في بعض الأحيان زخارف البط الطائر وأزهار اللوتس والوريدات، وقد تناول البحث أسباب ظهور هذه الزخارف وتفسيرها، كما تناول مناقشة تفسير الكتابات المشعة إجمالاً من حيث سبب ظهورها وانتشارها، والفترة الزمنية التي ظهرت فيها.